الباب الثانى

{ استهداف إيران }

الفصل الأول

ذكريات ومواقف

ذكريات ومواقف

إن العلاقات السياسية بين الدول لا تقف تحت الأضواء بكاملها ليراها الجميع ويقف المشاهدون يتأملون وربما يستغلون أو يتدخلون وهي في الأعم الأغلب إما لتسريع التفاعل نحو إنهاء أزمة ما أو إيقاف مسار يعكر أو يضاد مصالح عليا .. والمواقف عادة ما تكون خشنة وأحياناً حمراء بلون الدماء وهي لا تقف عند نهايتها بل يمتد الأثر إلي ابعد من ذلك بكثير وتظل ثابتة في الوجدان نائمة عادة ومتيقظة في أحيان أخري كلما تغيرت الظروف أو لاحت في الأفق أحداث جديدة في منحني هذه العلاقات ؟! والعلاقات الخلفية والخشنة تجعل كل دولة تضع نصب أعينها النتائج السابقة بالسلبيات والايجابيات كلمنا لاحت في الأفق حتمية اتخاذ قرار بموقف جديد والعلاقات الأمريكية الإيرانية تحوي العديد من المواقف وجب الإشارة إليها لكون آثارها تمتد إلي أكثر من نهايتها بمدي بعيد

مصدق وتأميم البترول الإيراني:

وفي إشارة سريعة عن بطل هذه الأزمة وجب التعريف بالدكتور محمد مصدق (١٨٨١- ١٩٦٧) وهو سياسي ومحام إيراني أصبح رئيساً لوزراء إيران (١٩٥١ – ١٩٥٣) وهي فتره الأزمة وحصل علي دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة باريس ونيوشاتل بسويسرا وكان عضواً في البرلمان الإيراني فترات عديدة (١٩١٥ – ١٩١٧ و ١٩٣١ – ١٩٢٨ و ١٩٤٤ – ١٩٥٣) وكان وزيراً للعدل في سنه ١٩٢١ وحاكم أذربيجان في ١٩٢٢ – ١٩٢٣) ووزيراً للخارجية في سنه ١٩٢٤ وشكل في عام ١٩٤٤ جبهة وطنيه لمناصره تأميم النفط الإيراني وفي عام سنه ١٩٥١ أصبح رئيس للوزراء بعد اغتيال سلفه رازمار ..

ضربة البداية :

حيث يرد بها " مايلز كوبلاند " الضابط في المخابرات المركزية الأمريكية شارحاً دوره ودور المخابرات المركزية في أحداث تلك الأزمة أو الموقف الخشن خلف الأبواب المغلقة حيث كان يعمل ضمن فريق المخابرات المركزية في الشرق الأوسط ضمن فريق يضم " كيم روزفلت " " وفرانك وزنر " و " آلن دالاس " ووفق معلومات بأن محمد مصدق رئيس الوزراء الإيراني بصدد عمل انقلاب لإسقاط شاه إيران وتأميم شركة النفط الأنجلو – إيرانية

مما يمثل عقبه أمام خطط الوزير دالاس (شقيق آلن دالاس) لإقامة الجدار الشمالي لإعاقة خطط السوفيت التوسعية ..

واستدعي كيم روزفلت مايلز كوبلان قائلاً : أنا أسف لتأخير ذهابك إلي مصر ومطلوب منك القيام باستطلاع والذهاب إلي إيران للحصول علي أجوبة أربعة تتمحور حول قرار واحد هو هل يمكننا وهل علينا أن نتخذ إجراء سياسي لدعم شاه إيران وإضعاف الثقة بمصدق ومنع أنصاره من القيام بما تخشي وزارتا الخارجية البريطانية والأمريكية من أن يفعلوه ؟! .

وأحضر مايرلز كوبلاند الأجوبة في تقرير أولي سريع بعد وصوله مباشره مستندات إلي موظفون معظمهم عملوا في إيران لفترة طويلة ويعرفون البلاد جيداً وأغلبهم ويعملون في قسم إيران في كل من المخابرات المركزية ووزارة الخارجية وشمل التقرير بأن علي أمريكا القيام بنشاط سياسي استثنائي لحماية المصالح الأمريكية والبريطانية ويجب أن تكون الغاية من النشاط هي تنحية مصدق عن الحكم وجعله أضحوكة وإلقاء كبار أنصاره في السجن وتقديم أي دعم قد يحتاجه الشاه لإطلاق برنامج علاقات عامه بينه وبين الشعب الإيراني ..

بداية العمل :

كانت الملاحظة الأولي لكوبلاند أنه في إيران يحتل المناصب الرئيسية في السفارة وفي محطة المخابرات خبراء أكفاء وليس موظفين دبلوماسيين يعدون الأيام لمعرفة متى تنتهي رحلاتهم هذه لكي ينتقلوا بعدها إلي أوروبا الغربية وهناك أيضا السفير هندرسون وهو صديق حميم لألن دالاس وكيم روزفلت والأب الروحي لجميع العاملين القدامى في الشرق الأوسط ومن بين كادر العاملين بالسفارة هناك علي الأقل أربعه موظفين يتحدثون الفارسية بطلاقه وبخلاف معظم الدبلوماسيين الذين يعملون في المواقع الساخنة والمتفجرة سياسياً لم يكونوا يخشون الخروج إلي الشوارع ليروا بأم أعينهم كيف تري شرائح المجتمع المختلفة الأمور .. وكان نائب رئيس المحطة هو جون ولر الذي أرتقي سلم المناصب في المخابرات المركزية وأصبح قبل تقاعده المفتش العام بها في وقت كانت فيه بأمس الحاجة إلي مفتش عام .. وأعطاني كل هؤلاء كل المعلومات التي أحتاجها لإجابة سؤال كيم الأخير وهو " إذا دعمنا انقلاباً في إيران مشابه لما فعلناه في سوريا ماذا ستكون النتيجة ؟! " وبعبارة أخري هل ستكون العملية مقبولة وماذا ستكون العواقب ؟ وكان جوابي نعم أنها ستكون مقبولة وستكون العاقبة خيراً علينا نحن الأمريكيين وعلي البريطانيين شريطة أن يكون الشاه حكيماً وجذراً في تعزيز وضعه الجديد وألا ينجرف وراء تفاؤله الذي استعاده ..؟! وأردف كيم روزفلت أي مشورة يمكن

تقديمها حول كيفية تنفيذ الانقلاب ؟! وكان المصدر الأكثر عوناً لي في الإجابة هو ما يدعوه كادر المحطة بالمخابرات المركزية الحقيقية أو المخابرات المركزية داخل المخابرات المركزية وهي وحدة صغيرة ترأسها زوجة موظف الشفرة ومشغل أجهزة الأتصال اللاسلكي وتدعي (السيدة القطة) وأعتقد أنني أول من يكتب عنها وعن وحدتها ليس فقط لأن هناك القليل داخل أو خارج المخابرات المركزية من يعرفها بل لأن لها وسائلها الخاصة (وربما حتى الآن) في التعامل مع الأشخاص الذين يتلصصون عليها .. ولقد سألت صديقي الجسور فنسنت ماركيني كيف كان يستطيع مقاومة تضمين ذكرها في كشفه الفضائحي الذي كتبه فضحك وقال : لن – يتجرأ حتى فيل أكي (يعني نفسه) علي الاقتراب إلي المكان غير المناسب من تلك القطة المتوحشة وعندما غادرت إلي طهران قال لي كيم إن السيدة القطة موجودة هناك إلا أنه حذرني بأن أبتعد عنها وقد غير رأيه عندما تذكر أن شأنها شأن الكثير من الأمريكيين من أصل إيراني (إما فارسي أو بلوشي أو كردي أو تركماني) الذين جاءوا إلي إيران للحصول علي أعمال مع المقاولين الأمريكيين و " عمالقة ذركانه " سيئ الصيت وهم جماعة من رافعي الأثقال الذين يمكن الاستفادة منهم (بلطجية) في السيطرة وتوجيه حشود عامه – علي سبل المثال – ويقومون في لحظة مناسبة وفي محل تحشد الجماهير بالإيعاز إلي الجماهير الهاتفة بأن عليها أن تغير صيحاتها من الموت للشاه ويعيش مصدق (يسقط الشاه) إلي يسقط مصدق ويعيش الشاه ؟!! وقد أخبرني كيم أن مواهبها الشخصية تكمن في أنها تتظاهر بأنها ثملة بينما هي في قمة العقل وتتظاهر بأنها لا تتحدث الفارسية ولا اللغات الإيرانية الأخرى رغم أنها نشأت في تبريز وتتحدث بها باعتبارها لغتها الأم .. وكان منظرها عندما وقعت عيناي عليها لأول مرة لا يدل عليها فهي في الأربعين من العمر بينما تبدو كفتاة في العشرين .. وهي جذابة بطريقة غريبة إلا أنها مع ذلك امرأة من أهل البلاد وتعرف أن النساء في إيران اللواتي يتمتعن بفتنه جنسيه يفترض أنهن حمقاوات لذلك فهي تسرح شعرها الأسود الطويل علي شكل كعكة وترتدي نظارات سميكة الإطار وتتشح بالسواد وبالطبع ترتدي العباءة الوطنية (الشادور) لتخفي وجهها إذا خرجت ومنظرها العام هو منظر المرآة الإيرانية المتحررة التي أمضت عاماً في كلية الاقتصاد في لندن .. وجري اللقاء في اليوم الثالث لوصولي إلي طهران وبعد أن عثرت هي علي وهي شيء جميل فعلته حيث لم يكن هناك أي شخص في السفارة يريد الاعتراف بمعرفه أي شيء عنها حتى جون ولر الذي أعرف أنه حلقه الاتصال في المحطة للأغراض المالية و الاداريه ورفض أن يخبرني كيف لي أن أجدها ، ولكنه أوصل حديثه إليها عن طريق زوجها موظف الشفرة في المحطة ولهذا أرسلت لي سيارة الأسرة " الليموزين " وهي سيارة فولكس واجن متداعية يسوقها خادمها لينقلني إليها عندما كنت علي وشك مغادره الفندق ..

وتقابلنا بعد حديث طويل تناولنا خلاله شاي بالنعناع وبعد ذلك ذهبنا في جولة داخل المدينة وكانت تعرف كل طريق فرعي وكل محل وكل تجمع سياسي وكل ركن وزاوية.

التنفيذ:

بمساعدتها الضرورية أمضيت صباح أحد الأيام أولاً في تحديد الأهداف التي يجب علي كل من يدبر انقلابا أن يسيطر عليها (مثل محطة الإذاعة ومحطات الطاقة الكهربائية ونقاط السيطرة الرئيسية لشبكة الهواتف ومنازل رئيس الوزراء ومصدق والآخرين الواردة أسماؤهم في قائمة الاعتقال ورسم الطرق التي تسلكها الحشود المتظاهرة ونقاط الاختناق المروري وطرق الخروج التي يفكر بها الشرطة عندما يحين الوقت للسيطرة علي حشود الجماهير .. واستغرق ذلك صباحاً كاملاً .. وفي حوالي الساعة الواحدة قالت كاثي (أو كاثرين) وهو الاسم الحقيقي للسيدة القطة حان وقت الغداء وأخذنا سائقها إلي نسخة فارسية من أحد المطاعم التي يتردد عليها سواقي الشاحنات في الولايات المتحدة وكان مكتظاً بذلك النوع من القطط البشرية المتوحشة والتي سبق أن تحدثت عنها (البلطجيه) وقالت " إن هؤلاء الرجال مهنيون وليسوا سياسيين علي الإطلاق وأنتم بحاجة إليهم مهما كان نوع الانقلاب الذي تفكرون فيه ومن خلال دردشتنا مع عينة منهم أصبحت علي قناعة بأن تنظيم قوي بشرية لصالح انقلاب مؤيد للشاه سوف لن يعتبر مشكلة وأن المراقبة المكثفة " للقوي الوطنية " سوف لن تشكل عقبه في التنفيذ وأخذت فكرة جيدة قدر الإمكان عن كيفية نظر عينه من الشعب الإيراني إلي الشاه ومصدق وشركات النفط المملوكة للأجانب وكيفية التعامل معها والنفاذ داخلها وكان التقرير الذي أعطيته لكيم روزفلت هو كل ما يحتاجه ليس فقط لإقناع الأخوين دالاس بل عليه مواصله عملية " أجاكسي " وهو الاسم الحركي للانقلاب بل زوده بدليل حيوي مهم حول كيفية تنفيذ العملية .. وقاد الانقلاب كما هو مخطط ومتفق عليه بمعرفة الجنرال زاهدي بمساعدة المخابرات المركزية وأفادت بعض الشخصيات الهامة (حجب ذكرها) داخل البلاد و أحجبت العواطف الوطنية للشعب كما هو مخطط أيضاً وتضمنت العملية استلام السلطة واستعادة السيطرة علي الجيش وكانت متقنة وفاعلة أكثر من أي عمل أخر قمت به وقد وازنت بين القوة العسكرية والدعم الشعبي بطريقة بارعة وتم تنفيذ الخطوات المتفق عليها (السيطرة علي محطة الإذاعة وغلق الاتصالات الهاتفية .. الخ) وقد كلفت العملية دافع الضرائب الأمريكي أقل من مليون دولار علي أيه حال أقل من مبلغ الثلاثة ملايين دولار الذي خصص لها .. والقي القبض علي محمد مصدق رئيس الوزراء ومعاونوه وأحيل للمحاكمة وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات وبعد إطلاق سراحه ترك العمل السياسي وامضي حياته في مزرعته إلي أن وافته المنية وتوفي عام ١٩٦٧ ولكن في النهاية وبعد العملية بعده أيام وفي قصره شرب شاه إيران نخب كيم روزفلت

وقال لـه " أننـي مـدين بعرشـي لله ولشـعبي ولجيش ولـك وبـالطبع إلـي مسـاعدك السـري " يقصـد مايلز كوبلاند " وقال لن اسميه ... وبعد ذلك وعندما منح الرئيس إيزنهاور نوط الأمن القومي إلـي كيم ، نكس كيم رأسـه بتواضـع وقـال بطريقتـه المميزة " إننـي لا استحقه فـي الواقـع .. إننـا مدينون بالجميل إلي أحد مساعدي الذي يفضل أن يكون أسمه مجهولاً " ولكنه في النهاية حصل علـي النـوط!!؟؟ ودارت الأيـام لتقضـي المصـالح الأمريكيـة والغربيـة أيضـاً بوجـوب التخلـي عن شاه إيران الذي لم تعد المصلحة الأمريكية بحاجة إليه وضاقت الأرض عليه بما رحبت بحثاً عن مأوي للعلاج ثم مأوي لمثواه الأخير ليجده بعد مشقه بالغة الصعوبة في رحاب القاهرة .. وأعـود فـأقول ليسـت هنـاك صـداقة دائمـة فـي السياسـة الأمريكيـة ولكـن هنـاك مصـلحة أمريكيـة دائمة.. ولابد وأن يعي أصحاب المصالح الشرق أوسطية أو في أي ركن من أرجاء المعمورة (الكرة الأرضية) هذه الحكمة الأمريكية الواضحة وضوح الشمس في الصيف ولابد أن تضعها الدول في حساباتها في العلاقات السياسية وبالأخص وبالطبع في إيران لأن الأحداث الخلفية كما اعتقد وكما أقول لا تنتهي عند نهايتها العملية ولكن تبقي مؤثراتها في أغوار النفس لمن حدثت معه ولمن يسمعها ويشاهدها أيضا .. فهل من مستمع ؟! لست أدري !! .

نتائج وتوابع : كان من نتائج تثبيت الشاه علي العرش إنشاء يد بطش قوية وقمعية في إطار سـري وهـي السـافاك " جهـاز الاسـتخبارات الإيرانـي " بعـد اعتصـام الـدكتور محمـد مصـدق بالبيجاما في مبني البرلمان هرباً من اغتياله وقبل اعتقاله وحكم الشاه بهذه اليد القمعية إيران بالحديد والنار وطارد المعارضين بالداخل والخارج وأباد عشرات الآلاف في سراديب السجون وتحت وطأة التعذيب وكان رئيس السافاك الثالث والأخير " نعمت الله نصيري " يلقب بالمكروه الأول السـادي المتـوحش وكانـت ميزانيـه السـافاك تتعـدي المليـار دولار وبعـد ثـورة الخـوميني ظهـرت حقـائق بشـعة عـن السـافاك وأعتقـل رئيسـه "نصـيري" وحكـم عليـه بالإعـدام رميـاً بالرصاص ونفذ فيه الحكم فوق سطح المبني الذي كان يشغله الإمام الخوميني في مدينة " قم " .

الفصل الثانى

محاولات للاستقطاب

تم التخطيط لأول مرة لفكرة تنفيذ عملية " المخلص " بهدف إعادة إيران مع أيه الله الخميني أو بدونه " نظام إعلامي " إلي أحضان الغرب أثناء اجتماع عقد في هامبورج في أواخر عام ١٩٨٤ بين كيمشى و" ال شويمر " وهو تاجر سلاح إسرائيلي خدم كمستشار مقرب لدي رئيس الوزراء الإسرائيلي شمعون بيريز وياكوف نمرودي الذي خدم كملحق عسكري إسرائيلي لدي إيران في الستينيات والسبعينيات و " فنوشهر جوبانيفار " وكان قريباً من فصيل هاشمي رفسنجاني الرئيس القوي للبرلمان الإيراني وكان كيمشى قد دخل قبل شهور قليلة ماضية في حوار مع عناصر داخل النظام الإيراني كانت تسعي إلي تقريب السياسة الخارجية الايرانيه أكثر من الموقف الغربي .. وفي ١٤ يونيو سنه ١٩٨٥ قام حزب الله بخطف طائرة " تي دبليو أي " في رحلتها رقم ٨٤٧ التي كانت متوجهة من أثينا إلي روما وطالب الخاطفون بتحرير السجناء الشيعة المحتجزين في الكويت وإسرائيل واسبانيا في مقابل إطلاق سراح الرهائن والذين كان في عدادهم بعض الأمريكيين وعلي أمل الفوز بود واشنطن تدخلت إيران لإنهاء العملية وبعثت برسالة إلي مجلس الأمن القومي الأمريكي قالت فيها " إنها تريد بذل قصار الجهد لإنهاء أزمة " تي دبلو أي " وكان رفسنجاني في طريق العودة من تونس عندما اعترضت الاستخبارات الإسرائيلية السرية محادثة جرت بينه وبين السفير الإيراني لدي سوريا علي اكبر " محتشميبور " وهو شخصيه هامه تقف خلف روابط إيران بحزب الله – وأعطي رفسنجاني توجيهاته إلي السفير بان يضغط علي حزب الله لكي يطلق الرهائن وقام وزير الخارجية الإيراني علي اكبر ولايتي بعمل مماثل ومع انه تم إطلاق سراح المحتجزين في النهاية نتيجة التدخل الإيراني رفضت واشنطن التعامل مع إيران .. وهنا تدخل عدنان " خاشقجي " لجوربانيفار المذهول بان الطريقة الوحيدة للاتصال بواشنطن تمر عبر إسرائيل ؟! واستعان جوربانيفار بالخاشقجي للاتصال بتل أبيب واعداً الإسرائيليين بأنه " في حال انتصرت في هذه الحرب فلن ننسي شكر أولئك الذين ساعدونا .. وسوف تشهدون تغيراً جذرياً في موقف طهران مع إسرائيل " .. ولم يكن الإسرائيليون بحاجة إلي من يقنعهم بذلك ..؟ واوجد هذا

الوضع علاقة مثلثيه متوازنة علي نحو مثالي فواشنطن أرادت تحرير الرهائن وإسرائيل أرادت بناء روابط أوثق مع إيران وطهران أرادت الحصول علي أسلحة ؟! وان كان الهدف الإسرائيلي الاستراتيجي الأوسع يتمثل في الفوز بإيران مجدداً أكثر أهميه من احتجاز حزب الله للرهائن في لبنان أو الحاجات العسكرية لإيران ؟! وطلب من الخاشقجي وجور بانيفار الاتصال بمجلس الأمن القومي الأمريكي ولكن مستشار الأمن القومي " روبرت باد " ماكفرلاين " لم تعجبه الفكرة وكان علي وشك رفض طلبهما للحصول علي أسلحة والدخول في حوار لولا تدخل شيمون بيريز واستفساره عن أمكانيه الدخول في تعاون سري مع إيران ؟ وكان تدخله مثمراً فقد قرر " ماكفرلاين " اختبار الاتصال الإيراني عبر طرف ثالث يمكنه تحمل المسؤولية الكاملة " وكان إسرائيل ؟!" وبعد تدخل بيريز أعطي ريجان موافقته علي إجراء تحقق سري في الخطوة المقترحة وأوكل هذه المهمة " لمايكل ليدين " وهو بروفسور في الجامعة الأمريكية وصفه نمرودي بأنه يشتهر بأنه صهيوني حقيقي ومخلص وطلب " ماكفرلاين " مستشار الأمن القومي الأمريكي من " ليدين " عدم اطلاع وزاره الخارجية ووكالة الاستخبارات علي الأمر وعقد لقاء مع شيمون بيريز في تل أبيب واقترح شيمون بيريز رئيس الوزراء بأنه ربما يكون من المفيد إرسال بالون اختباري إلي طهران بشحنه أسلحة واحده لاختبار نوايا الإيرانيين ومع انه لم يجر اطلاع المخابرات الأمريكية بأبعاد الصفقة فقد أيدت الفكرة ؟! وأوصت ببيع أسلحة إلي طهران بحد بلد ثالث لتعزيز موقف المعتدلين الإيرانيين وتحسين مستوي المعلومات الاستخباراتيه الامريكيه المتعلقة بإيران .. وواصل كيمشي وماكفرلاين التخطيط للعملية شخصياً وبعد أن اطمأن ماكفرلاين إلي أن رابين وشامير موافقان علي العملية مضي كيمشى إلي حد القول بأن الإيرانيين واثقون بأنه يمكنهم تأمين أطلاق سراح الرهائن الأمريكية في لبنان ولم يرق لواشنطن طلب إيران الحصول علي ما قدرته بمائه صاروخ تاو نتيجة معارضة الأعضاء الرئيسيون في الإدارة الأمريكية لإتمام إبرام الصفقة ولكن الفوز بإطلاق سراح الرهائن كان شديد الإغواء لريجان وفي أغسطس سنة ١٩٨٥ أعطي الرئيس الضوء الأخضر للخطة وتم شحن تلك الصواريخ وتواصلت عمليات الأسلحة بلا انقطاع ففي سبتمبر وبدقة في الخامس عشر منه في نفس العام وصلت شحنه ثانيه من الصواريخ إلي إيران وبعد بضع ساعات أطلق سراح " بنيامين وير " وكان أحد المحتجزين في لبنان وحققت أمريكا هدفها بمناوره تكتيكيه بسيطة حددت خطواتها بدقة وحققت إيران هدفها أيضا وبأثمان تكتيكيه بسيطة ولكن علي ما يبدو أن إسرائيل لم تحقق هدفها الاستراتيجي الأكبر والاهم لها نحو استقطاب النظام الإيراني ودخوله الحظيرة الغربية كما أرادت واشتهت ؟! وأعلن بيريز " كانت مبيعات الأسلحة لإيران فكرة أمريكية ولم نشارك فيها إلا بناء علي طلب من واشنطن " ثم عاد للقول في عام ١٩٨٧ مدافعاً عن أعمال إسرائيل بالقول " بأنها كانت تستكشف الفرص لتلطيف حده خطاب إيران ؟!

ثم أضاف للمراسلين الصحفيين " لماذا لا نملك الحق في إلقاء نظره فاحصه لمعرفه أن كان يوجد نافذة فرص وإن كانت توجد إمكانية لمستقبل أخر بإيران " وانتهي تقرير " ابا ايبان" الذي ترأس لجنه إسرائيلية للتحقيق في تورط البلاد في قضيه الأسلحة لإيران بالقول " من حقنا أن نبيع الأسلحة لإيران ؟! " وحث شامير ريجان في مقابله بعد ذلك في واشنطن علي استئناف الاتصالات مع إيران ورفض .. وعلي الجانب الإيراني أنكر الإيرانيون بشده إجراء أيه مفاوضات مع الإسرائيليين وأعلن رفسنجاني " بأننا لم نفاوض إسرائيل أبدا من أجل شراء أسلحة ؟!! وفي حال تبين لنا أن الأسلحة التي وصلتنا جاءت عبر إسرائيل فلن نستخدمها في جبهات القتال ؟!! ؟ و سبحان علام الغيوب ودائما ما يكون جراب الساسة أوسع بكثير من جراب الحاوي وتلك أيضا سمه العصر الحديث ؟! ... وعلق علي ذلك دبلوماسي إيراني سابق عمل في إسرائيل " كان في مقدورنا الاستفادة من صداقة إسرائيل ولكننا لم نكن أصدقاء حقيقيين " وهي حكمه ليست مقولة ولكنها دقيقة أيضا ؟!

وفي مارس عام ١٩٩٥ قال وران كريستوفر " انظر إلي حيث تشاء وستجد يد إيران الشريرة في هذه المنطقة ؟! وهو رأي أمريكي لم يغيب عنها نحو إيران ؟! .. وفي محاوله لخاتمي للمراوغة من جديد قال " بما أن الدول العربية لا تحبذ الدخول في حرب بأي قوة سياسية أو اقتصادية أو عسكرية وتريد أن تحارب إسرائيل ؟ فما الذي يجنيه الإيرانيون من هذا الموقف باستثناء تحمل اللوم علي دعمهم للإرهاب ؟ فيوجد لدي الفلسطينيين اليوم حكومة ونحن نعترف بها وهي مكلفه باتخاذ القرارات نيابة عن شعبها وصحيح أن الوضع الحالي ليس مثالياً ولكن يتعين علينا التكيف مع الحقائق وألا نكون وعاء اشد سخونة من الحساء ؟!!"... ولا تعليق .

الفصل الثالث

أزمة البحارة بين إيران وبريطانيا

ثم السفارة

حيرني هذا الشعب الإيراني وربما أعجبني أيضاً، ولكن سرعان ما أعود إلي حيرتي مرة أخري أيضاً .. فمنذ عدة سنوات وقبل الثورة الإسلامية الخومينية قرأت حديثا عجيباً عن الترف الإيراني من عوائد النفط.. ثم قول الشاه السابق محمد رضا بهلوي والذي كان قابعاً علي عرش الطاووس عندما تحدث عن ثبات قواعد الحكم في إيران " قبل أن يأتي أحد إلي في هذا القصر .. فلابد أن يمر علي ثلاثمائة ألف مقاتل بأحدث أنواع الأسلحة .. ويدين لي بالولاء الكامل ، فقد حصل علي أفضل مما كان يريد أن يحلم في حياته " .. ثم تحدث عن القوات الجوية الإيرانية وما تتمتع به من تفوق في المنطقة الشرق أوسطية الإقليمية .. ثم كانت الثورة الخومينية وإنهاء هذا النظام وكأنه قصر من رمال علي شاطئ الخليج العربي أو كما يسمونه بالخليج الفارسي .. وبعد فترة بدأت الحرب العراقية الإيرانية ثماني سنوات كاملة .. ومن رؤيتها البعيدة كانت حرباً مختلفة بعيدة كل البعد عما كنا نسمعه أو نشاهده .. مما أصابني بالحيرة والتعجب !

ثم سرعان ما بدأت الثورة وبسرعة فائقة في إعادة البناء والتسليح من جديد للقوات المسلحة الإيرانية وبشكل منظم ومدروس ومكثف وفي وقت قصير نسبيا بدأت علامات الصحة الموفورة والقوة تظهر علي القوات التقليدية الإيرانية .. ثم ظهرت ملامح التطورات التكنولوجية علي الملف والقوة غير التقليدية (الذرية) مما أصابني بالحيرة والتأمل مرة أخري ! ثم زادت الحيرة وتعمق التأمل في طريقة إدارة الأزمات الإيرانية مع الغرب بهدوء يثير الإعجاب " دون ضجيج الجماهير الهادرة .. و نداء الموت والنضال والفداء بالروح والدم أيضاً ! " .

وتلاحظ هنا عزيزي القارئ أن التعامل السياسي الإيراني هو تعامل فاهم لقواعد اللعبة السياسية وملم بمشتملاتها ودارس لقوانينها ومستوعب للخبرات السابقة وكأنها لعبة شطرنج لم يتعود الغرب علي التعامل معها وبها .. فالضغوط السياسية ثم المحاور الاقتصادية كفيلة بإيقاع أي نظام مناوئ للقطبية الواحدة أو العولمة الجديدة ! ومن هنا فإن الغرب بوجه العموم كان يجرب الهالة الإعلامية والسيناريوهات المؤلمة لما يمكن أن تتعرض له إيران وهو مؤمن بالنجاح من تجاربه السابقة والعديدة بالدفع نحو حافة الهاوية .. ولكن ظل النظام الإيراني متعاملا بهدوء بين الشد والجذب بمهارة تثير الحيرة أيضاً ! وسوف يكون لنا التشريح والتحليل للفهم والإدراك والرؤية أيضاً من خلال مشكلة أسر البحارة الانجليز الذين دخلوا المياه الإقليمية الإيرانية وعذراً عزيزي القارئ فسوف يكون التحليل في العمق أو من العمق هذه المرة وليس من البداية كما تعودنا معاً .. حيث ينتظر كل طرف من الأطراف مع تعدد وسائل الضغط والرهبة أن يتراجع الطرف الآخر ولو بمؤشر نحو التراجع فيتم استمرار الضغط . والخطوة الأولي في التراجع سوف تكون البداية أو بداية النهاية.

فبدأت الخطوة الأولي كما أسلفنا بالسيناريوهات ولم تفلح فانتقلت إلي الخطوة التالية وهي المناورات واستعراض القوة فقوبلت بمناورات مماثلة .. فكان الانتقال إلي مسرح العمليات السياسي في الأمم المتحدة .. فتعاملت إيران معها بقدر الممكن والمتاح وكان التأثير إعلاميا أكثر من عمليا أو مؤثراً .. فبدأت رحلة المخابرات أو كما يقال حرب المخابرات وخلف الأبواب المغلقة وما تعنيه من مساحة تجاوزات أو أعمال رمادية أو حتى سوداء وذلك باختفاء نائب وزير الدفاع الإيراني " مصغري " ثم الإعلان عن كم هائل من المعلومات استفادت منه أمريكا وبريطانيا .. ومع ذلك لم يظهر تأثير مؤلم أو نية تراجع .. وإن كانت تشبه هروب الفريق حسين كامل زوج ابنه صدام حسين قبل المواجهة إلي الأردن .. والإعلان وبنفس الصورة عن كم المعلومات التي تم الحصول عليها فى فترة تواجده بالأردن ! ومع ذلك لم يظهر النظام الإيراني نوايا أو بادرة تراجع بل انتقال إلي الخطوة المضادة بأسر خمسة عشر جنديا من واجهة درة البحرية البريطانية !

وهنا كانت الحيرة والتعجب أشد وأعتقد حتى من الطرف الأمريكي أو البريطاني نفسه ! فقد كان من المتوقع أن تتجاوز وتقترب القوات الأقوى والأعنف (والمقصود هنا .. البريطانية والأمريكية) من الشواطئ الإيرانية .. وليس بغرض عسكري كما قد يفهم ولكن أيضاً ليس بحثاً عن معلومة أو حتى سعيا لها .. ولكن لمراقبة التصرف السياسي وأمل في نية التراجع الإيراني خطوة علي الأقل ! وكان من المتوقع وكما حدث في الماضي وفي

تجارب سابقة بأن يغض النظام بصره سعيا لعدم التصعيد أمام الغرب حتى وإن اقتربت الدورية إلي حافة الشاطئ نفسه وبذلك يكون الصمت هنا هو بداية التراجع أو علي الأقل النية في التراجع يتبعها التراجع نفسه .. ومرة أخري كان المحير أيضاً أن الرد الإيراني علي خطف أو هروب (ولا اعتقد ذلك) لنائب وزير الدفاع الإيراني في تركيا أن تم أسر قارب الاستطلاع الانجليزي في الخليج وعدم تركه حتى الآن إلا بعد اعتذار رسمي انجليزي وبعد تحقيقات رسمية واعترافات علنية عبر شاشات التليفزيون الإيراني.

الملعب الغربي

ومن هنا عزيزي القارئ نجد أن النظام الإيراني نقل الكرة إلي الملعب الانجليزي والغربي انتظاراً للتراجع أو نية التراجع علي أقل تقدير ، وبدأ يضغط في الاتجاه العكسي أو المضاد منتظرا هو الآخر كما قلنا نقطة التراجع .. ! وإن حاولت انجلترا حتى الآن تفاديها وبالبرود الانجليزي المعهود طالبة الوساطة السعودية في إقناع إيران بإطلاق سراح الأسري وإن كنت أتوقع أن يتم ذلك عبر مفاوضات سرية وبحزمة حوافز سياسية يمكن التراجع عن جزء كبير منها بعد إطلاق سراح الرهائن ! وبدأ التحرك أيضاً من خلال عدة محاور .

١ – بعد مفاوضات استغرقت أربع ساعات متصلة في سابقة أولي نحو استخراج بيان من مجلس الأمن بالإعراب عن القلق من خطف البحارة البريطانيين والمطالبة بإطلاق سراحهم .

٢ – إعلان بيان السكرتير العام للأمم المتحدة " كي مون " عن قلقه من تطور المشكلة ورغبته في التدخل لحلها بصورة ودية..

٣ – إعلان بعض الدول الأوروبية وبالذات ألمانيا صاحبة الرياسة في هذه الدورة وجوب إطلاق سراح الرهائن الانجليز بلا قيد ولا شرط كنوع من توزيع الأدوار ، وردت إيران بلهجة تحذيرية بعدم التدخل وجعل المشكلة في إطار ثنائي إيراني انجليزي فقط .

٤ – إعلان خافيير سولانا منسق السياسة الخارجية الأوروبية الأسبق عن إمكانية التفاوض والتفاهم مع النظام الإيراني ..!

٥ – إعلان روسيا وعلي لسان وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف أن بلاده لن تؤيد فرض عقوبات مشددة علي إيران في أي ظرف من الظروف.

٦ – قيام قطر واندونيسيا وجنوب أفريقيا بمحاولة إدخال تعديلات علي مشروع قرار في مجلس الأمن بخصوص العقوبات علي البرنامج النووي الإيراني .. مما يعني السماح لهم بمساحة من التفاوض السري ومن خلف الأبواب!.

ومن هنا نري أيضاً إظهار مهارة التلاعب بالورقة السياسية من جانب الإيرانيين عندما أرجأت إيران الإفراج عن المرأة الموجودة بين البحارة بسبب التصرفات البريطانية الخاطئة ! ألم أقل لك عزيز القارئ إن النظام الإيراني يتحرك ويتصرف بطريقة هادئة ومحيرة وحتى الآن ناجحة ؟!.

قيمة البحارة

كما نعرف فإن البحرية البريطانية هي درة التاج البريطاني وصاحبة الفضل في مد الإمبراطورية إلي آفاق الأرض حتى لا تغيب عنها الشمس! ومن خلالها تلك القوات الخاصة

ROYAL Marines-Special Boat Squadron

ويضم سلاح البحرية الملكي عدداً كبيراً من المجموعات الصغرى والمنتقاة بعناية وأحدي أفضل هذه المجموعات من حيث التدريب والشهرة هي وحدة الزوارق الخاصة اختصاراً للتعبير السابق (S.B.S) والتي يعود تاريخها إلي الحرب العالمية الثانية بأهداف استطلاعية وللإغارة علي الشواطئ الأوروبية (البر الرئيسي) الأمر الذي اكسبها خبرة وتقنيات خاصة وتم الحفاظ عليها في أوقات السلم بالرغم من إجراء العديد من التعديلات ..

ويطلق عليها أيضاً " جناح الغارات الصغيرة " وهي تتبع دراسيا المدرسة البرمائية التابعة لسلاح البحرية الملكي في (EASTNEY) ومركزها الحالي هو Poole في (Dorset) وبدأت الاسم الجديد في عام ١٩٧٧ وهي تعمل وفق ما تراه القيادة العملياتيه لوحدات الكوماندوز مع العلم بأنه بإمكانها التصرف باستقلالية في مهمات خاصة مثل عمليات التخريب والتفجير كما أنها تدربت علي حماية حقول النفط ومنشآت الغاز .. وهي تعمل أحياناً من خلال الغواصة التقليدية (H.M.S ONYX) ويتم تنسيق خاص بين القوات الجوية الخاصة (S.A.S) ووحدة الزوارق الخاصة (S.B.S) ويتم اختيارهم من بين صفوف المتطوعين الذين يخدمون في الكوماندوز البحري الملكي ويخضع الجميع سواء ضباطاً أو جنوداً فحوصات جسدية ونفسية لمدة ثلاثة أسابيع ويتم علي أساسه اختيار الناجحين.. ويتسلح الأفراد بالبندقية الأمريكية "آرمليت" " أم ١٦" وقاذفات قنابل طراز (M.203) كما يستخدم نموذج خاص من الرشاش

البريطاني القصير "سترلينج " (L.34) المزود بكاتم صوت وكاشف لأشعة الليزر وأجهزة للتفجير عن بعد وعدة نجاة عند الطوارئ.

حرص شديد

وأخيراً عزيزي القارئ فمازلت في الحيرة والاندهاش من المعالجة الإيرانية الناجحة حتى الآن ومع ذلك فإنني أري التحالف الغربي بكامله يتعامل مع النظام الإيراني بحرص شديد وبخطوات بسيطة ومدروسة وذات معان أيضاً لكي تعطي المؤشر والدليل علي الاتجاه الذي تريده والمعني الذي تريد توصيله .. فهل معني ذلك أن تلك الحوادث ربما تكون مقدمات لاحتكاك أو تصادم مستقبلي ؟! لا أعتقد ذلك أو علي الأقل لن تكون هي السبب المباشر أو الرئيسي وإن حدث ذلك فسوف تكون العواقب وخيمة علي من يبدأ بذلك ثم تكون الخسارة جماعية وليس علي طرف واحد وحتى إن كان الطرف الأمريكي أو الانجليزي حيث إن الصعوبات المتوقعة أو المحتملة علي أرض العمليات في ظروف قرار الكونجرس الأمريكي باشتراط موعد للانسحاب من العراق للتصديق علي الاعتماد الإضافي للحكومة الأمريكية لتغطية تكاليف القوات الأمريكية في العراق بالإضافة إلي رحيل مجموعة بوش دون تقديم تقرير أو كشف حساب معتاد عن فترة الحكم وأهداف الاحتلال للعراق وهل تحققت وفق النظرية الأمريكية أم لا ؟! كل ذلك يجعل الحركة الأمريكية محسوبة ومقيدة بألف قيد إذا ما فكرت في عمل إضافي وذلك بالإضافة الى رحيل توني بلير أيضاً من رئاسة الوزراء البريطانية .. كل ذلك أدركته السياسة الإيرانية مما جعل " علي رضا أفشر " العضو في هيئة الأركان في الجيش الإيراني يطالب بريطانيا بتقديم اعتذار رسمي والتعهد بعدم انتهاك المياه الإقليمية الإيرانية لتسوية الأزمة وعدم تقديم الأسري إلي المحاكمة ألا يعد ذلك شد إذن لبريطانيا ؟! وهل ستقبل بذلك ؟ لقد رفض " توني بلير " رئيس الوزراء البريطاني الأسبق حتى مجرد تقديم اعتذار أو حتى التفاوض مع النظام الإيراني وفي الحقيقة الجميع يدرك أن كل ما يتم في هذه المشكلة هو ذو أبعاد سياسية بحتة وليست عسكرية كما تبدو.

و طبقا للنظرية الولسونيه و عقدة الاستعمار فان احتلال الدولة المستعمرة لدوله ما احتلتها و استقلت عنها يجعلها تبقى دائما على الخيوط موصولة بحكم التخصص و تكون دائما هي الأقرب للتداخل كلما سمحت الظروف بذلك و مثال ذلك (ايطاليا-ليبيا) و (بريطانيا-السودان) و (فرنسا-الجزائر) و الأمثلة عديدة لا تكاد تحصى في أحداث التاريخ الحديث ...و تقوم بريطانيا من آن لآخر بمناوشات سياسيه اقرب من غيرها مع إيران و لم تنتهي عند أزمة البحارة بل تكررت و سوف تستمر انتظارا لمؤشر الحركة ذي القطبية الواحدة حيث قامت بتصعيد الحصار على البنك المركزي الايراني ورد الطلبة الإيرانيين بمهاجمه السفارة

البريطانيـة فـي طهـران و ردت بريطانيـا بغلـق سـفارتها فـي طهـران وطـرد الدبلوماسـيين الإيرانيين من بريطانيا فى تحذير "نحن هنا"؟؟ و لكنها أيضا لم تقطع العلاقات فصرح وزير الخارجية البريطـاني "وليـام هيج" بـان إغلاق السفارتين يقلص علاقتنـا مع إيـران إلـى أدنـى مستوى مع الإبقاء على العلاقات الدبلوماسية و لسان حالها يقول "أخاصمك آه ...اسيبك لا ؟؟ وفى انتظار أمريكا ؟؟؟